دور جامعة بغداد
في بلورة المدرسة التاريخية العراقية

د. عبد الله حميد العتابي

التطور التاريخي للمدرسة التاريخية العراقية :

اختلف المؤرخون العراقيون في تبلور مدرسة تاريخية عراقية ، ففي حين اعتقد البعض ان وجود تلك المدرسة ((أمر مسلم به ، وغير قابل للبحث والنقاش))[١] . وصف اخر ، ((المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة ، التي تعتمد البحث الاكاديمي وذلك بمتابعة النص تدقيقاً وتحليلاً ونقداً من اجل الوصول الى الحقيقة كما هي))[٢] وفي الوقت نفسه ، يرى مؤرخ عراقي جهود ابناء جيله بانها ((حافظت على نوع من البريق لمدرسة التاريخ العراقية))[٣] ويصف مؤرخ اخر جهود الاستاذ الدكتور صالح العابد بانه ((واحداً من رموز المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة ، يشاركه اساتذة اجلاء تركوا بصمات واضحة في ميدان منهج البحث التاريخي))[٤] .

ويجيب مؤرخ موصلي عن سؤال مفاده : هل لدينا في العراق مدرسة تاريخية؟ اي هل لدينا وجهة نظر فلسفية للتاريخ ننظر من خلالها الى تاريخنا؟ نعم هناك مدرسة تاريخية عراقية تمثلت بنخبة طيبة من المؤرخين الذين ينتمون الى اجيال ثلاث[٥] وعلى نقيض ذلك ، يقول البعض انه ((لطالما تحدثنا عن مدرسة تاريخية عراقية منذ عقود متعددة ، لكن اي منا لم يستطيع ان يحدد ما هي سمات هذه المدرسة وما هو طابعها وما هي البصمة التي تركتها في مجال المعرفة والمنهجيات التي لتميزها عن بقية المدارس التاريخية . ولم يقدر للمؤرخين العراقيين ان يتجمعوا في اتجاهات فكرية متباينة ليشكلوا نواة لمدرسة او مدارس فكرية . ربما يمكن تحديد اتجاهات في

الكتابة التاريخية وفقاً للمدارس التي تخرج منها البعض ، لكن لم تتطور تلك الاتجاهات الى مدرسة او مدارس تاريخية عراقية ، على الرغم من مرور اكثر من ستة عقود على وصول طلائع المتخرجين اكاديميا من المؤرخين[٦] .

وبعد ان يستعرض اسماء لامعة في حقل الدراسات التاريخية ، بجيليه الاول والثاني ، الا ان ايا منهم لم يؤسس لمدرسة تاريخية عراقية لها سمات وخصائص واضحة على مدى العقود الخمسة الاخيرة[٧] .

ويقطع مؤرخ عراقي معاصر بعدم وجود (مدرسة تاريخية) في العراق ، لان المدرسة التاريخية تقتضي توفر هدف ، يتحقق من خلال وسائل ، والوسائل ثابتة في ذهنية الباحث ، وبعد ذلك فان وجهات نظر الباحثيين لابد ان تتبلور في هذا الاطار ، حتى يتبلور المنحى ، اي تنضج خصوصية كالمدرسة الالمانية والفرنسية والبريطانية والامريكية والسوفيتية[٨].

الكتابات التاريخية في العراق القديم :

لعل ما يعرف بقوائم الملوك King Lists ولا سيما قائمة الملوك السومرية ، كانت من ابرز المصادر التي عرفتنا بفهم العراقيين القدماء للتاريخ وزودتنا تلك القوائم بأسماء الكثيرين من الملوك وسنوات حكمهم ، وفي بعض الاحيان اسماء عواصمهم ولم تخل مثل تلك القوائم من الاشارة الى احداث تاريخية وبخاصة تلك المتعلقة بالحروب والانتصارات . فكان ينص في

قائمة الملوك السومرية مثلاً على ضرب مدينة او بلد بالسلاح ونقل الملوكية الى مدينة او بلد اخر[٩] .

عرف البابليون تمييز السنوات ، وتعرفوا عليها بما وقع خلالها من احداث كبرى ، وامتازوا بانهم على درجة كبيرة من الدقة في وضع قوائم الملوك . وفي العصر الاشوري – حوالي عام ١١٠٠ق.م – ظهرت بعض الحوليات التي كانت تتحدث عن اعمال الملوك عام بعد عام ، واصبحت تلك الحوليات في القرن الرابع عشر قبل الميلاد – وعلى عهد الملك تجلت بلسر الاول Tiglathpileser بالذات – مصدرا مكتملاً ومعقولاً يمكن الاعتماد عليه لاغراض التاريخ . وقد ازداد الترتيب الزمني عند الاشوريين دقة ، نتيجة لتقليد سار عليه ملوكهم ، وهو تعيين موظف رسمي كل عام ليقوم بأعمال التسجيل ، واطلق على ذلك الموظف اسم الليمو Limo ، وفي حين اسم الليمو في الاحداث المعاصرة التي سجلت على قوالب الصلصال ، فان قوائم الليمو مكنت المؤرخ من اعادة بناء وتركيب الاحداث التاريخية في ذلك العصر الاشوري بدرجة كبيرة من الدقة ، وهكذا امكن في اواخر العصر الاشوري التوصل الى ما يعرف التاريخ التعاصري Synchronistic الذي هو عبارة عن استعراض لتاريخ الاحداث الهامة التي وقعت في بلاد اشور وما يعاصرها في بلاد بابل ، وتناولت تلك المدونات تاريخ حكام ملوك اشوريين وبابليين منذ العهدين الاشوري والبابلي القديمين[١٠] .

وخلف لنا البابليون ، نوعاً اخر من المدونات التاريخية المعروفة بكتب الاخبار Chronicles امدتنا تلك بمعلومات لاحداث هامة يعود قسم منها الى القرن الثامن عشر ق.م. ، اما احداثها فتصل بنا الى العهد السلوقي ، وطريقة تلك الكتب الاخبارية في تدوين الحوادث ، هي ذكرها عاماً بعد عام ، وبقى ان نتوقف عند المؤرخ العراقي برحوشا Berossus الذي عاش في القرن الثالث ق.م. الذي وصل البحث التاريخي لديه ان الفَّ كتاباً عن تاريخ بلاد وادي الرافدين منذ الخليقة والطوفان الى عهد الاسكندر ٣٣١ق.م. وللاسف لم يصلنا من الكتاب سوى شذرات في كتب المؤرخين اليونان والرومان(١١) .

ان مؤرخي العراق المعاصرين نظروا الى تاريخ العراق بانهم كانوا يخاطبون ويحاورون الحضارة العراقية في لغة هي اقرب الى العقل منها الى لغة العاطفة ، وكانت غايتهم ارجاع الحق الى اهله ، فقد غربلوا التاريخ القديم في لغة هي اقرب الى العقل منها الى لغة العاطفة(١٢) .

الكتابات التاريخية في العرق قبل الاسلام :-

بما ان التاريخ موضوعة الانسان والزمان ، فان كل الدلائل المادية والكتابية تشير الى ان للقبائل العربية في العراق حضارة قبل الاسلام ويشهد على ذلك كثرة المعطيات الاثارية في مناطق متفرقة من مواطن العراق ، منها اثار دولة ميسان والحضر والحيرة في العراق ، وتلك الحضارة يقتضي لوجودها الاحساس بالذات وهو افراز من افرازات التفكير الانساني الموحد وتطوره(١٣) .

كان الفكر التاريخي للعراقيين قبل الاسلام اكثر وضوحاً عند بعض عرب الحيرة والمناذرة ، متمثلة في انساب وسيرة الامراء العرب واخبارهم على هيئة سجلات محفوظة في كنائسها[١٤] .

اما الشعور التاريخي عند العراقيين فكان موجوداً ، فيروى ان النضر بن الحارث كان يفد الى الحيرة لتعلم بعض الحوادث التاريخية ، اما التدوين فقد كان محدوداً ، وان الطابع العام للروايات التاريخية هو الرواية الشفوية التي يتناقلها الرواة بعضهم عن بعض ، ذلك لان الرواية عند العراقيين قبل الاسلام كانت تعتمد الرواية الشفوية بصورة عامة والمدونة بصورة محدودة جداً ، ولا سيما ما يتعلق منها بالانساب ، والاخبار وقصص الايام التي اثرت اسلوبها على بداية علم التاريخ وخاصة في العراق[١٥] .

الكتابات التاريخية في العراق في صدر الاسلام :-

بعد ان اتمت الجيوش العربية تحرير العراق من الاحتلال الساساني عقب معركة القادسية في شباط ٦٣٦م ، اصبح العراق جزءاً من دولة الاسلام ، التي اسسها الرسول (صل الله عليه وسلم) وارسى قواعدها ، ووضح اتجاهاتها ، واشرف على بنائها ، اذ اصبح العراق موطناً للقبائل القادمة من الجزيرة العربية ، ونقطة انطلاق لتحرير المشرق ، والمتتبع لحركة الفتح الاسلامي يجد ان الكوفة والبصرة كانتا المعسكرين الاساسين اللذين انطلق منهما الجيوش الاسلامية لفتح المناطق الشرقية والشمالية الشرقية التي تمتد شرقي دجلة حتى بلاد السند ، كما

تمتد شمالاً حتى ارمينيا واذربيجان ، فقد تسنى لهما نتيجة لذلك تحديد حدود الدولة الاسلامية في ذلك الميدان(١٦) .

ومهما يكن من امر ، فقد اصبحت مدن الكوفة والبصرة هي المراكز الاساسية للحركة الفكرية ، وكان للفكر التاريخي نصيب منها ، ويعد العامل القبلي ابرز العوامل التي ادت الى نشأة علم التاريخ في العراق وتبلوره ، اذ كان اول ظهور للكتابات التاريخية في العراق يحمل طابع الاتجاه القبلي والذي اعتمد إسلوب قصص الايام ، والانساب الذي كان موجوداً عند القبائل العربية ، ولذا نجد ان الاهتمام كان منصباً على انساب القبلية ومآثرها واخبارها وامجادها وايامها وشعرائها والاهتمام بكل فعاليات وشؤون القبيلة المتنوعة . ولم يعد الامر مقتصراً على ذلك الجانب انما اثرت الروايات القبلية في التدوين التاريخي عموماً اذ انها امدت المصنفين المتأخرين بمواد لكتابة تاريخ عصر صدر الاسلام . لذلك تعد مدرسة الكوفة والبصرة التاريخيتين هما المنابع الاولى لاصالة ونشأة المدرسة التاريخية في العراق ، ولذا ساد الاتجاه القبلي على طبيعة دراسات المدرسة التاريخية في العراق بوصفها نتيجة طبيعة لتأثر الامصار بالتقاليد وطبيعة المجتمع القبلي ، ومن ثم تطورت لتشمل كل مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعسكرية(١٧).

ومن الجدير بالذكر اننا لم نجد عند المؤرخين العراقيين في صدر الاسلام تخصيصاً بمعناه الدقيق ، حيث كانت اختصاصات الاخبار والانساب والشعر واللغة تتداخل مع

بعضها البعض في اغلب الاحيان ، فنجد الرواة يتناولون موضوعات هي في الحقيقة مكملة لموضوعاتهم متممة لها ، فلا بد لراوية الاخبار مثلاً ان يتعاطى الشعر في الخبر او الشعر الذي يرويه[١٨] .

الكتابات التاريخية في العراق في العصر العباسي :-

تأثرت المدرسة التاريخية العراقية الى حد كبير بالاتجاه الاسلامي لكتابة التاريخ الذي ظهر وتبلور في المدينة المنورة ، اذ اثر منهج المحدثين في التزام الاسناد في نطاق الحديث على المؤرخين وغيرهم ، اذ اصبحت الاسانيد تتقدم الروايات التاريخية والادبية ، وهكذا امتد استعمال الاسانيد الى كتب التاريخ فعلى سبيل المثال لا الحصر ، علي بن محمد المدائني البغدادي (ت٢٢٥هـ/٨٣٩م) ومجمد بن سعد البصري نزيل بغداد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) ومصعب بن عبد الله الزبيري نزيل بغداد (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م) وعمر بن شبة النميري البصري نزيل بغداد (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) واحمد بن يحيى البلاذري البغدادي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ومحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)[١٩] .

وظهرت عند المؤرخين العراقيين من جراء استخدام الاسانيد اسلوب الاسناد الجمعي والذي يوفر للمصنف بعض المجهودات في عدم تكرار ذكر الاسانيد لانه يجيز له الاختصار وعدم التكرار . ومع ذلك فان كتب الرجال تزن الرواة من المحدثين والمؤرخين بميزان اهل الحديث الامر الذي يؤكد

الصلة بينهما ، اضافة الى علاقة النقد التاريخي بمصطلح الحديث[٢٠] .

وحقيقة فان استخدام المؤرخين والتزامهم به ، تكشف عن مدى تأثر المؤرخين بالمحدثين من جانب ، وهي تعكس من جانب اخر الامانة العلمية ، والصدق والتواضع عند المؤرخين في ذكر مصادر الروايات التي اوردوها ، وتظهر اتساع نطاق التدوين التاريخي في العراق من خلال تشعب وتعدد مصادر الروايات التاريخية .

وقد انتقلت مقاييس المحدثين الى المؤرخين ، اذ اشترطوا في المؤرخ ما اشترطوه في رواة الحديث من العدالة والضبط ، وقيموا الرواة بدقة وضبط واتقان . وبدا امكن تطبيق قواعد نقد الحديث في نقد الروايات التاريخية ايضاً . ولعل لمدرستي الكوفة والبصرة في النحو اثراً كبيراً في تقوية ملكة النقد التاريخي عند الإخباريين والرواة ، لان اللغويين ادوا دوراً هاماً في تكوين اسلوب للبحث اكثر دقة في النقد ، وذلك بدراستهم للشعر ومحاولاتهم التمييز بين الشعر الصحيح والموضوع ، وساعدوا على جمع الروايات التاريخية وغربلتها ، وهكذا ادخل اللغويون اسلوب النقد الداخلي للموارد ووضعوه الى جنب النقد الخارجي للمصادر[٢١] .

ابتدأ كثير من مؤرخي العراق بكتابة التاريخ من المبتدأ والانبياء ، وسيرة الرسول (صل الله عليه وسلم) ومغازيه وتاريخ صدر الاسلام ، والى زمن متأخر من العصور العباسية ، نجد

ان ذلك الاسلوب صار منهجاً سار عليه المؤرخون المتاخرون(٢٢) .

ومما ساعد على تبلور علم التاريخ في العراق ، الازدهار الاقتصادي والحضاري الذي شهده العراق في العصر العباسي ، وانبرى المؤرخون لتدوين الخراج واحكامه والاموال والزراعة واصناف المنتجات الزراعية والحرف والتبادل التجاري . وظهرت تواريخ خاصة بالمدن ، لنشوء الحواضر والمدن في العراق ، فهناك من كتب في تاريخ بغداد والكوفة والبصرة وواسط والموصل ، فكان للعامل الجغرافي اثره في اتجاه جانب معين من اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق(٢٣) .

كانت حركات المعارضة للامويين في العراق ، وكثرة الفرق والاحزاب السياسية والفكرية فيه ابلغ الاثر في حركة التاريخ اذ ان الوضع ادى الى تحفيز اذهان المؤرخين في العراق لمعالجة وعرض تلك التطورات ، فذهب كل مؤرخ يعبر عن مكنونات نفسه ، وما يمليه عليه ايمانه وموقفه من تلك الاحداث معبراً عن وجهة نظر خاصة به ، ولذلك قيل عن ابي مخنف لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت١٥٧هـ/٧٧٣م) بانه علوي الميول ، وعوانه بن الحكم الكلبي بانه اموي الميول . ومن المهم الاشارة الى ان نتائج حركات المعارضة للخلافة الاموية والعباسية حدوث معارك كبيرة الامر الذي دفع بالمؤرخين الى الكتابة في تاريخها وطبيعة احداثها(٢٤) .

اهتم مؤرخي العراق بالكتابة في الادارة ، فمنهم من كتب في تاريخ الخلفاء ، والوزراء ، والامراء ، والولاة ، والقادة ، والقضاة والعمال والدواوين[٢٥] .

نستخلص مما تقدم ، ان المدرسة التاريخية العراقية ، انشطرت من علم الحديث النبوي الشريف لما يلاحظ من اثر كبير من الحديث على نشوئه وتطوره ومنهجه ، ومن ثم تبلور ليستقل علما انسانياً قائماً بذاته ، واتسع نطاقه ليشمل عدة اتجاهات ، وتشعبت الكتابات التاريخية فيه وتنوعت اصنافها وتعددت اهدافها .

وعلى اية حال ، ففي مطلع القرن الثالث الهجري بدأت مرحلة ظهور الكتابات التاريخية لكبار المؤرخين ، وتبلور نطاق الدراسات التاريخية ، وتنوعت حقولها وتعددت جوانبها ، من ناحية الشكل والمضمون ، واتسع نطاق التدوين التاريخي سواء في المصادر المكتوبة او الروايات الشفوية من التاكيد على اهمية استخدام الاسانيد لتوثيق الروايات التاريخية ، فضلاً عن ذلك ، بدأ تقييم المؤلفات السابقة ودرجة الوثوق باصحابها[٢٦] .

ان ملكة النقد التاريخي التي كان يتمتع بها مؤرخو المدرسة التاريخية العراقية يحلل على رجاحة العقلية التاريخية ، وعلو ملكه النقد التاريخي عند بعض مؤرخي المدرسة ، وتمتعهم بخلفية عميقة من الفهم التاريخي ، مكنتهم من قبول بعض الروايات ورفض البعض الاخر ، ان اهتمام المؤرخين العراقيين بهذا الجانب يبين لنا اهمية كتاباتهم التاريخية من جهة ، ومنهجيتهم ومدى عدالتهم وضبطهم من جهة اخرى .

دور جامعة بغداد في تكريس المدرسة التاريخية العراقية :-

تعد اقسام التاريخ في جامعة بغداد من الاقسام المهمة بل الرئيسية التي لا يمكن للكليات الانسانية في الجامعة الاستغناء عنها او تجاوزها ، لانها تتبوأ مكانه متميزة في حقل الدراسات الانسانية والتاريخية ليس في العراق فحسب ، بل الاوساط العلمية العربية والعالمية التي تعنى بالدراسات التاريخية ، بل ان اقسام التاريخ في جامعة بغداد ضرورة لمعرفة الترابط العضوي بين التراث والمعاصرة لرسم حركة التاريخ لمستقبل المجتمع العراقي وتطوره .

تتوزع اقسام التاريخ في جامعة بغداد على كليات الاداب والتربية / ابن الرشد والتربية للبنات . ومنهجية قسم التاريخ في كلية الاداب الذي تأسس عام ١٩٤٩م[٢٧] اعتمد على :

١- زيادة معرفة الانسان وتوسيع خبراته باطلاعه على نشاط البشر في الماضي ومعرفة مجرى سير المجتمعات نحو التحرر والنمو والتقدم والرقي .
٢- معرفة حقيقة باصول المؤسسات والنظم التي تكّون الامة وتميزها عن غيرها وتوسمها بطابعها المميز وتؤثر في احوالها ومُثلها لانها تعبر عن الامها وامالها التي تؤثر في سلوك الفرد والمجتمع .
٣- تثبت دراسة التاريخ فكرة ان تقدم الفرد والامة يتوقف على العمل الجدي الصحيح الذي يبذل لخدمة المجتمع وتقدم الانسانية .

٤- ادراك الوعي بامجاد الامة وبطولاتها ومسيرتها واطر تراثها والالمام بقدرات تلك الامة وانجازاتها .

٥- ان دراسة التاريخ من منطلق محتوى حوادثه واحداثه تبرز لنا دور العناصر التي ساهمت على صنعه وصيرورته سياسياً وحضارياً .

في حين امتازت منهجية قسم التاريخ في كلية التربية ابن رشد[٢٨] الذي تأسس في العام الدراسي ١٩٤٣/١٩٤٢ بوصفه قسماً في دار المعلمين العالية بما يلي .

١- عد التاريخ وسياة لتحقيق تقدم افضل للعلاقات المعاصرة بين الشعوب بما يخدم اهداف التعاون من اجل السلام والحرية والتقدم .

٢- تأكيد دور العرب الحضاري الانساني في الماضي وقدرتهم على استلهام تأريخهم في انطلاقة حضارية جديدة تعزز مكانة الامة العربية ودورها في بناء الحضارة الانسانية المعاصرة .

٣- تحصين الطالب ضد الدعوات الرامية الى عد التراث القديم منفصل عن التراث العربي ، والتركيز على ان احدهما مكما للآخر .

٤- اطلاع الطالب على تجارب الشعوب في تجاوز ظروف الانكفاء التي تمر بها ، عن طريق استخدام وسائل العقل والعمل الدائب والمنظم .

٥- تقدير خبرات وتجارب شعوب اوربا في ميادين الاستكشاف الجغرافي والتقدم العلمي ومناهج التفكير السليم والافادة منه .

٦- افهام الطالب ان التاريخ حقل من حقول المعرفة الانسانية التي لا تقل اهميتها والحاجة اليها عن اي حقل من حقول المعرفة الاخرى .

٧- افهام الطالب ان الارادة والتصميم عند الشعوب قادرة على تحقيق المعجزات ، والدليل على ذلك الوحدتان الايطالية والالمانية اللتان تحققا في ستينيات القرن التاسع عشر وسبعينياته .

٨- تعليم الطالب الالتزام بالمنهج العلمي السليم والسعي الى الدقة والمصداقية في تحليل الاحداث التاريخية وكشفها ، لان مصداقية الحقيقة التاريخية تعطي مصداقية للتجربة الانسانية وتعني الافادة السليمة من العبرة ، زيادة على ان اي تزييف للحقائق سينكشف .

٩- العمل على افهام الطلبة ان المناهج المختلفة في تفسير التاريخ اجتهادات قابلة للخطأ والصواب ، مما يفرض على الطالب عدم الاخذ بها على انها حقائق مسلم بها ، لكن دراستها تمكن الطالب من استيعاب معرفة تمكنه من تمييز ما يقدم اليه ، مهما كانت الحجج والوسائل المستخدمة بقصد الامتناع .

امتاز منهج قسم التاريخ في كلية التربية للبنات والذي افتتح عام ١٩٨٤[٢٩] ، على ما يلي :-

١- فهم الحاضر واستشراق المستقبل والكشف عن متطلبات الحياة الاجتماعية المتغيرة وادراك حقيقة التطور الاجتماعي وابراز العلاقات السببية في الاحداث والوقائع.

٢- تسمية المهارات والقدرات الفعلية وذلك بتدريب الطالبات وتمرينهن على اعداد اصول وقواعد البحث المعتمد على التفكير والنقد والتحليل والمقارنة فضلاً عن قراءة التاريخ قراءة واعية تؤثر في حياتها اليومية والسلوكية .

٣- الاستفادة من الدرس التاريخي في تحقيق التوعية الوطنية والقومية في ظل عالم متغير وزاخر بالاحداث والتطورات.

٤- تنمية القدرات على نقل المعرفة للاخرين وبخاصة الطالبات بما يخدم تربية الجيل العربي تربية قومية صادقة تمكنه من ممارسة دوره الطليعي في المستقبل .

٥- تأكيد دور العرب الحضاري الانساني في الماضي وقدرتهم على استلهام تاريخهم العريق في انطلاقه حضارية جديدة تعزز مكانة الامة العربية ودورها في بناء الحضارة الانسانية المعاصرة عامة والدول العربية بخاصة .

٦- النظر الى التاريخ والتراث نظرة تجديدية تسهم في خدمة الحياة المعاصرة للامة العربية في جوانبها المختلفة وخاصة الجانب السياسي منها وبما يعزز الوحدة القومية ويصون الوحدة الوطنية ويقبر المؤامرات الاستعمارية .

٧- عد التاريخ وسيلة لتحقيق فهم افضل للعلاقات المعاصرة بين الشعوب بما يخدم التعاون من اجل السلام والحرية .

قدر تعلق الامربالتساؤل الذي سبق ان طرحناه : هل هنالك مدرسة عراقية معاصرة لكتابة التاريخ ؟

للاجابة عن هذا التساؤل لابد من الاشارة الى الاتجاهات الفكرية والمنهجية في الدراسات التاريخية ؟

ان مؤرخي جامعة بغداد قد ساهموا في تبلور تلك المدرسة استناداً الى الكتابات التاريخية العراقية المعاصرة .

١- آمن مؤرخي جامعة بغداد ، ان المدرسة العراقية تمتد بجذورها الفكرية الى العصور الاسلامية الاولى حينما كان العقل موطناً لمدرسة الرأي المعتمدة على العقل . وللمدرسة التاريخية العراقية خصائص ابرزها الجدية ، وصدق الانتاج ، ودقة الملاحظة ، وسعة الاطلاع ، والصراحة ، وعشق الحرية الفكرية والايمان بفكرتي العدالة والتقدم .

وليس هذا بغريب عن العراق بلد كلكامش الذي رأى كل شيء ، البلد الذي امتلك ارثاً حضارياً عريقاً امتد لالاف من السنين ، وظهر بشكل حضارات متعاقبة متعددة قدمت للبشرية الزراعة ، والعجلة ، والعلوم ومنها الرياضيات والفلك والصيدلة ، والطب ، واستمر هذا حتى العصور اللاحقة لعصر كلكامش فان العراق كان حلقة اتصال بالثقافات اليونانية والفارسية[٣٠] والحق فان المؤرخ العراقي هو ((ابن عصره وهو مقيد بحكم شروط الوجود الانساني))[٣١] .

٢- ان قواعد المنهج العلمي المتبعة في الدراسات التاريخية والتي وضعها المؤرخون العراقيون في اقسام التاريخ الثلاثة في جامعة بغداد كانت تستهدف بالدرجة الاولى الى تأكيد الاهداف العلمية والتربوية وتطبيقها لاقسام التاريخ في ام الجامعات بوسائله المتاحه . فضلاً عما لتلك الاهداف والوسائل من تنمية الوعي التاريخي لدى المختصين وعرض المنجزات الرائعة للحضارات العراقية بصورها الحقيقية المشرقة وابراز الدور الفاعل للعراقيين في تاريخ الحضارات العربية والاسلامية والانسانية ، وهذا لن يكون الا بتطبيق المنهجية العلمية في البحث والاستقصاء وتعبئة المعرفة وزيادتها وتوسيع خبرات الانسان العراقي باطلاعه على نشاط المنظومات البشرية في الماضي ومعرفة سير المجتمعات نحو التحرر والنمو والتقدم .

ان قراءة الماضي ما هي الا وسيلة لفهم الحاضر[٣٢] ان اقسام التاريخ في جامعة بغداد اولت في منهجيتها العلمية تدريب الفكر العراقي ، وتمرينه في البحث الاجتماعي ، وبذلك تساعد تلك المنهجية على تفهم اوسع لاحداث العصر المعقد الذي تعيش فيه ةالذي يغمرنا بتياراته المادية والفكرية العنيفة . ومن المهم الاشارة ، ان تلك الاقسام سعت الى تعميق المعرفة التاريخية ونقلها من جيل لاخر وتثقيف المجتمع بالنشاط التاريخي الوطني والعربي والانساني ومدى التوفيق بينهم ، والنهوض بالحركة العلمية والبحث العلمي بما تقف عليه الدراسة التاريخية من الادراك الصحيح لدور المواطن في تقدم

المجتمع وازدهاره في النطاق الحضاري العام . ومهما يكن الامر ، فقد ظلت محتفظة على الرغم من المحاولات المحمومة للسلطة في النظام السابق تطويع الذاكرة التاريخية لديمومة بقائها(٣٣) .

٣- ان تاريخ العراق في عصوره الماضية والحاضرة كان في ضمن التفافات اقسام التاريخ في جامعة بغداد في موارده ومنهجيته ، وقد اولت تلك الاقسام الاهتمامات الكبرى والعناية الخاصة به . وتؤكد من التواريخ الاخرى ماله علاقة او صلة بتاريخ العراق . اما لصلة اهلها بالعراق ، او لتبادلهم التأثير الحضاري بالعراق . كما ان تأكيد ما في الحضارة العراقية من عناصر مشتركة كفيلة على تجمعهم وتعمل على توحيدهم وكذلك على ماضي تلك الحضارة من القيم البناءة التي كان لها اثر في تقدم الحضارة العربية والاسلامية وكذلك ابراز الدور المشرق للحضارة العراقية ،

وهكذا سعت اقسام التاريخ على اتباع الاسس العلمية المستندة الى استخدام العقل في معرفة الحقائق وتحديد اسبابها وتفاعلاتها وتثبيت الاراء والافكار المستحصلة من تطبيق الطريقة العلمية ، وذلك لتقديم صورة صحيحة قدر الامكان لمجرى التاريخ والابتعاد عن الاراء الضيقة القائمة على تشويه الحقائق والمناقضة لاساليب البحث العلمي(٣٤) .

٤- كما ان المنهجية التي اتبعها مؤرخي جامعة بغداد قد اكدت بحث الصيغ لاحياء تراث العراق وابراز قيمه التي تنسجم ومستلزمات بناء المجتمع العراقي الجديد على وفق التربية

الوطنية التي غرستها القيم الروحية والوطنية والانسانية التي كان عليها الاجداد في التضحية والوفاء والشعور بالمسؤولية ، وعد الانسان العراقي عليا وهدفاً اساسياً ضمن تطور المجتمع العراقي وبما يتفق مع كا كان عليه العراق وينسجم معها في خلقها للانسان العراقي وتقييمه باعظم قيمة وهدف .

ان اقوى الاتجاهات الحديثة في البحث التاريخي عند مؤرخي جامعة بغداد هو الانتقال من العناية باحالات الفردية الى العناية بالاحوال العامة ، ومحاولة اقسام التاريخ في جامعة بغداد وضع التاريخ منسجماً مع العلوم الاجتماعية بوصفه علم الانسان في الزمان . ومما لا شك فيه ان المنهجية والبحث العلمي لا يبتعد او يناقض في تلك الحالة على ابراز القدرات الفردية ودورها في صناعة التاريخ بما تهتم تلك الاقسام في اعداد جيل عراقي مثقف بماضي العراق وحضارته ومتسلح بالعلم ويعتمده اساساً سليماً لاحداث التغييرات الجذرية واضعاً المعرفة العلمية والاسلوب العلمي في التفكير في خدمة اهداف العراق والقضاء على ما التصق به من وجوه التخلف في تاريخه الحديث والمعاصر .

٥- ان المدرسة التاريخية العراقية لم تقتصر على توثيق البعد السياسي من العملية التاريخية وانما تعددت ذلك للاهتمام بالجوانب الاقتصادية ، وظهر لدينا مؤرخون ابدعوا في ذلك الميدان ، ولعل في مقدمتهم عبد العزيز الدوري وصالح العلي ابرز مؤرخي جامعة بغداد ، وحينما سؤل مفكر

غربي عن ما قدمه العرب في القرن العشرين للبشرية اجاب بلا تردد كتابات الدوري والعلي في الجوانب الاقتصادية التي اخذت مساراً علمياً انسانياً . ان دراسات الدوري والعلي تعد في طليعة الدراسات الاقتصادية لجديتها وتفردها بمعلومات ونتائج قيمة ان مما تهتم به الدراسات التاريخية والاقتصادية الاسلامية والحديثة تقديم اطار عام يشتمل على حقول الاقتصاد والمفردات الاقتصادية من عوامل انتاج وتضخم وانكماش ونقود وضرائب وتنظيمات مالية ومؤسسات اقتصادية ومعرفة واحكام اراضي واصلاح زراعي وصناعة وتجارة واصناف وتنظيمات حرفية فضلاً عن دراسة ظروف

الازدهار الاقتصادي او التدهور الاقتصادي والازمات المالية والنشاط الاقتصادي الخاص ووضع القوى الاقتصادية من طبقات وسطى ومن عمال او فلاحين او كسبة او رأسماليين وطنيين[٣٥] . ((ان التاريخ ليس ذاكرة فانية او تراثاً جمعياً[٣٦] ، وان ايجاد التاريخية هي هدفه النهائي[٣٧])) .

٦- انتهج مؤرخي جامعة بغداد المنهج العلمي اي لابد ان يخطو خطوات البحث التاريخي ويصل الى الحقيقة ابتداء من التفكير بالموضوع ، وتسجيله ، وجمع المصادره وتفكيك النصوص ، وانتهاء بالتركيب ، واعادة تشكيل الحدث ، كما وقع بالضبط . ولقد سعت المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة لان تبحث عن اسس ومفاهيم ومصطلحات تتوائم

ليس مع اصول البحث العلمي العربي والذي له جذوره في قواعد مصطلح الحديث العربية ، وانما مع اصول التاريخ العربي والاسلامي وحيثياته الى درجة ان بعضا من رواد تلك المدرسة دعا الى الالتزام بتحقيب التاريخ العربي والاسلامي .

الهوامش :

١- هاشم يحيى الملاح ، الكتابات التاريخية العراقية المعاصرة وشروط وجود مدرسة تاريخية عراقية ، المجلة القطرية للتاريخ والاثار ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد١ ، ٢٠٠١ ، ص١٠٥ .

٢- عدنان هرير جودة الشجيري ، صالح العابد سيرته ومنهجه في كتابة التاريخ ، من (كتاب) محمود عبد الواحد محمود ، صالح العابد ذاكرة التاريخ الحاضرة ، دار ومكتبة عدنان ، ٢٠١٣ ، ص١٠٣ .

٣- حسين محمد القهواني ، صالح العابد في دار المعلمين وما بعدها ذكريات ستة عقود ، المصدر نفسه ، ص١٧-١٨ .

٤- غانم محمد رميض العجيلي ، صالح العابد وتاريخ الخليج العربي لما تخزنه الذاكرة ، المصدر نفسه ، ص٤٥ .

٥- ابراهيم خليل العلاف ، المدرسة التاريخية ، جريدة البيان البغدادية ، ١٩ كانون الثاني ٢٠١٥ .

٦- محمود عبد الواحد محمود ، مدرسة الحوليات الفرنسية وتجديد كتابة التاريخ : محاولة للتأصيل في الفهم العراقي ، دار مكتبة عدنان ، ٢٠١٣ ، ص٣٠-٣١ .

٧- المصدر نفسه ، ص١١ .

٨- طارق نافع الحمداني ، عبد العزيز الدوري والمؤرخون العراقيون المعاصرون : رؤى تاريخية ، من (كتاب) حيدر قاسم التميمي ، عبد العزيز الدوري ، مفكراً ومؤرخاً ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص٦٤ .

٩- د. فاروق ناصر الراوي واخرون ، حضارة العراق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٢٧٢ .

١٠- هاري المر بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة د. محمد عبد الرحمن برج ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص٣٠-٣١ .

١١- المصدر نفسه ، ص١١ .

١٢- ضمياء عبد الرزاق خضير ، الدكتور سامي سعيد الاحمد ودوره في المدرسة التاريخية العراقية ، من (كتاب) مجموعة باحثين ، دور المثقفين الرواد في النهضة الثقافية والحضاريةللمجتمع العراقي ، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية ، ٢٠١٤ ، ص٢٧٢ .

١٣- جواد مطر الحمد ، الوعي التاريخي عند العرب قبل الاسلام ، المجلة القطرية للتاريخ والاثار ، العدد١ ، ٢٠٠١ ، ص٢٥٣ .

١٤- محمد جاسم المشهداني ،حضارة العراق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٤٥ .

١٥- المصدر نفسه .

١٦- المصدر نفسه .
١٧- ج. هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٣٥-٣٦ .
١٨- المصدر نفسه ، ص٤١-٤٥ .
١٩- بشار عواد معروف ، اثر الحديث في نشأة علم التاريخ عند المسامين ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص٣١-٣٤ .
٢٠- عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة التاريخ عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص٧-١١ .
٢١- فرانتس روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح احمد العلي ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص٢٣-٢٩ .
٢٢- المصدر نفسه .
٢٣- عبد العزيز الدوري ، مصدر سابق ، ص٢٨ .
٢٤- فرانتس روزنثال ، مصدر سابق ، ص٣١ .
٢٥- ج.هرنشو ، مصدر سابق ، ص٣٩-٤٠ .
٢٦- المصدر نفسه .
٢٧- دليل كلية الاداب ، للعام الدراسي ٢٠١١/٢٠١٢ .
٢٨- دليل كلية التربية / ابن الرشد ، للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣ .
٢٩- دليل كلية التربية للبنات ، للعام الدراسي ٢٠١٣/٢٠١٤.
٣٠- جريدة البيان البغدادية ، ١٩كانون الثاني ٢٠١٥ .
٣١- ادوارد كار ، ماهو التاريخ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٦ ، ص٢٦ .

٣٢- علي الاديب ، مناهج الدراسات الانسانية ، بيروت ٢٠١٣ ، ص٣٩ .
٣٣- اريك دافيس ، مذكرات دولة : السياسة والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث ، ترجمة حاتم عبد الهادي ، عمان ٢٠٠٨ ، ص١٢ .
٣٤- موسى محمد ال طويرش ، كتابة التاريخ وفق المنهج الاكاديمي ، بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص٣٧ .
٣٥- المصدر نفسه .
٣٦- جريدة البيان البغدادية ، ١٩ كانون الثاني ٢٠١٥ .
٣٧- أ.ج.هوبزبوم ، دراسات في التاريخ ، ترجمة : عبد الاله النعيمي ، مؤسسة المدى ، دمشق ، ٢٠٠٢ ، ص٢٤ .
٣٨- عبد الله الفياض ، التاريخ فكرة ومنهجاً : دراسة في التاريخ واصول بحثه ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص١٥ .